جمهورية مصر العربية
جامعة الزقازيق
المعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم

مجلة
حضارات الشرق الأدنى القديم

دورية علمية محكمة

http://www.east.zu.edu.eg

الزقازيق

العدد الثانى – السنة الثانية– أكتوبر ٢٠١٦ م–الجزء الأول

رقم الإيداع ١٨٤٣٥ - الترقيم الدولى (٥٣٣٥ - ٢٠٩٠)

مطابع جامعة الزقازيق

عدد خاص بأبحاث المؤتمر العلمي الدولي

حضارات الشرق الأدنى القديم ومؤثراتها عبر العصور

الذى أقيم خلال الفترة من ١٣–١٥ مارس ٢٠١٦

بالمعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم–جامعة الزقازيق

بالتعاون مع كلية التربية الأساسية جامعة بابل

الاسطورة في حضارة وادي الرافدين

أ.م.د. لطيفة ماجد محمود
أستاذ مساعد بكلية التربية

أ.م.د. زهرة موسى جعفر
أستاذ مساعد بكلية التربية

جامعة ديالي– العراق

الاسطورة في حضارة وادي الرافدين

أ.م.د. لطيفة ماجد محمود **أ.م.د. زهرة موسى جعفر**جامعة
كلية التربية للعلوم الانسانية–جامعة ديالى– العراق

اهداف البحث:

يهدف البحث الحالي الى– الاطلاع على اساطير المجتمعات فمن خلالها يستطيعون التعرف على الاعراف والقيم والعادات الاجتماعية التي تتمسك بها المجتمعات.

كما يهدف البحث الى جعل الاسطورة مكونا من مكونات الفكر الانساني ومرجعا ثقافيا للكثير من الدراسات التربوية والاجتماعية والتاريخية والفلكلورية كما سيتناول البحث الدراسات السابقة التي كتبت عن الاساطير.

كما سيتم تحديد مفاهيم الدراسة وهي مفهوم الاسطورة و حضارة وادي الرافدين كما سيتناول البحث اهم النظريات التي تناولت الاسطورة كما سيتناول البحث علاقة الاسطورة بغيرها من المصطلحات المشابهة.

أولا: تمهيد:

عرفت حضارة وادي الرافدين من خلال كتابات الاغريق والرومان، وكذلك من خلال ما كتبه العبريون في كتاباتهم من خلال السبي البابلي لهم، وقد تبع هذا السبي تحريف لمعتقدات أهل العراق ونسبها اليهم على أساس انها سماوية، ومن هنا كانت ولادة الاسطورة في حضارة وادي الرافدين، اذ انها أقدم الحضارات العالمية اتزانا وأصالة، وكل الحضارات التي تلتها اسست فوقها وأخذت اصالتها من الاضافات التي اضافتها على حضارة وادي الرافدين، ولهذا اتهمت حضارة وادي الرافدين والعراق القديم بالأسطورة وبانها كانت ممزوجة بكثير من الاساطير.

لقد ظهرت حضارة وادي الرافدين منذ فجر التاريخ وبعد أن قضى الانسان القسم الاكبر من حياته في أطوار الهمجية والتوحش وهي ما يسمى بعصر ما قبل التاريخ، والتي استغرقت بما يقدر بمليوني سنة، وقد دخلت بعدها البشرية في أخطر طور ولأول مرة وهو طور الحضارة والتمدن وكانت حضارة وادي الرافدين ووادي النيل تقودان البشرية نحو هذا الطور،كان هذا في اواخر الالف الرابع قبل الميلاد.

وكانت الصفات التي ظهرت على حضارة وادي الرافدين هي الصفات الكونية،أي النظرة الى الكون واسباب الظواهر الكونية، كما انها كانت انسانية نظرت الى الانسان من جوانب عديدة ولم تجزأه كما فعلت باقي الحضارات، وقد ظهرت هذه الأثار من خلال اساطير النشوء والطوفان وكلكامش ونزول الإلهة (انانا) الى العالم السفلي.

وكانت أصالة التأملات والطروحات التي طرحتها حضارة وادي الرافدين وغرابتها حينذاك جعلها أقرب الى الاسطورة منها الى الواقع، كما انها اتبعت طريقة منهجية في تحليل الحقائق الكونية، وهذه الطريقة لم تكن معروفة قبل نشوء هذه الحضارة العملاقة التي نظرت الى الانسان ككل بعد أن كانت حضارة الاغريق والصين تجزأ.

الانسان الى روح ونفس وجسد، فقد قسم (كونت) تاريخ البشرية الى ثلاثة عهود:

الاول: سماه عهد الطفولة / أو عهد حضارات الدين والاساطير.

الثاني: سماه عهد المراهقة وهو عهد الفكر الفلسفي بدءا من اليونان ومرورا بالعصر الوسيط.

الثالث: سماه عهد البلوغ أو النضج أي عهد العلم والتقنية بدءا بالاكتشافات والاختراعات العلمية والثورة الصناعية.

وهذا التقسيم كفيل بأن يقضي على حضارة البشر ويشوهها تماما، فمتى كان الانسان مؤمنا فحسب او مفكرا وكفى أو عالما فقط، كان هذا في المنطق أو الفلسفة اليونانية التي رفضها ديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠) ورفض فكرة تجزأه الانسان وتاريخه أو تجزأه تاريخ البشرية كما أسماه ووضع طريقة منهجية في تحليل المفاهيم والغوص في اعماق الذات البشرية لاكتشاف الحقائق الجوهرية في هذا الوجود، وتجزأه الانسان كما فعلت الحضارة الاغريقية لن تقودنا الى النظرة الكلية الشمولية، وهذا ما تميزت حضارة وادي الرافدين التي ظهرت اثارها وابعادها (الكونية) من خلال أساطير النشوء والطوفان ونزول الالهة (انانا) الى العالم السفلي.[١]

ويؤكد المؤرخ العلامة (كريمر) وهو أعظم اختصاصي في مجال التاريخ قائلا:لدينا من الاسباب المعقولة ما يحملنا على الاستنتاج بانه يظهر في غضون الثالث (ق.م) طائفة من المفكرين السومريين حاولوا أن يصلوا الى اجابات مرضية عن المسائل التي اثارتها تأملاتهم في

---

[١] أنظر: عامر سليمان.جوانب من حضارة العراق القديم، بغداد. ١٩٨١. ص٢٠٩.

الكون وأصل الاشياء فكونوا اراء ومعتقدات في الكون والالهيات.وأصبحت هذه الآراء والمعتقدات فيما بعد عقائد ومبادئ اساسية لكثير من شعوب الشرق الادنى القديم.

ويؤكد المؤرخون من كل بقاع العالم بان السومريين كانوا شعبا فائق الذكاء والمهارة، ولعل من أعظم اختراعاتهم كانت الكتابة التي تطورت بمرور الزمن من صيغة الرموز المرسومة الى حروف مسمارية ثم الى الكتابة بنظام وحروف، ومن خلال هذه الكتابة استطاع السومريون توثيق التصورات الاساسية لسكان ما بين النهرين عن النظام وتنظيم العلم وعن الخلق ومصير الانسان وعن العالم السفلي، والحياة بعد الموت، ومن هذه التصورات نشأت الافكار الكونية التي كانت في بداياتها أقرب الى الاسطورة منها الى الحقائق الواضحة والموثقة، ومن هنا كانت الاسطورة التي يمكن أن نصفها بانها تفسير تثقيفي تربوي عن العالم والدنيا، وهنا يمكن لنا أن نطرح التساؤل عن العلاقة بين الاسطورة وحضارة وادي الرافدين وكيف نشأت الاسطورة في هذه الحضارة؟.[١]

ثانيا: أهمية البحث:

تتميز المنطقة الحضارية الغارقة في القدم والتي اسماها الاغريق (ميسوبوتاميا) ما بين النهرين، وجيولوجيا تعرف أرض العراق بانها: اراضي منخفضة تكونت من الترسبات التى خلقها النهران العظيمان دجلة والفرات وهي ما يعرف اليوم بأرض العراق، وفي جزئها الجنوبي (بابل فيما بعد) الممتد من بغداد اليوم، حيث يقترب النهران من بعضهما أكثر ما يمكن وحتى الخليج العربي.

من المفيد الإشارة إلى أن حضارة (ميسوبوتاميا)تركت آثارها في الحضارات البشرية اللاحقة والمعاصرة. فالعراقيون الأوائل هم أول من اكتشفوا الزراعة والكتابة، ووضعوا أسس الرياضيات وعلم الفلك، وتوصلوا إلى نظرية فيثاغورس قبل فيثاغورس بأكثر من ١٥٠٠ عام، وصنعوا آلات الحياكة والخياطة وابتكروا أدوات البناء والفخار والعجلة والسفينة وصناعة البرونز، واستخدموا الخيل ومارسوا الفروسية، وبنوا أول مجتمع سياسي منظم (دول المدن السومرية)، وأقاموا نظام الملوكية، وأوجدوا وطبقوا نظرية الحق الإلهي المقدس للملك قبل توماس هوبز الإنكليزي بأكثر من ٤٥٠٠ عام، وبنوا الدولة الوطنية الموحدة (سرجون/ حمورابي)، وأهدوا البشرية أول قانون منظم للحياة الاجتماعية (شريعة حمورابي) شكل أساس القانون العبري وامتدت آثاره للحضارة المعاصرة.. هذا بعد أن ولدت هذه الأرض أول حاكم مصلح في تاريخ البشرية (اوروكاجينا)، وكتبوا أولى الملاحم البطولية الحية وأعظمها (ملحمة كلكامش)، وابتدعوا القصص على لسان الحيوانات قبل ايشوب

---

[١] أنظر: (انترنت،٢٠١٦).

الأغريقي بأكثر من ألف عام، وأسسوا نظاماً شاملاً للدين شكل أساس الديانات الرئيسة الثلاث، وعلموا البشرية العطلة الأسبوعية (السبت البابلي)، وتركوا أول كتاب مقدس (ملحمة الخليقة البابلية) لديانة عالمية شكلت مصدراً رئيساً للديانة اليهودية. وبناة هذه الحضارة . السومريون . هم أصل العراقيين، وأجداد إبراهيم الخليل . الأب الأكبر لليهود وللمسيحيين وللعرب.[١]

وقد سكن ارض الرافدين عبر الاف السنين السومريون والبابليون الذين كانوا يعبدوا ما يقارب ال (٣) الاف اله وتحاط هذه الالهة بالأساطير التي تحكي نشوء وبداية ظهور عالم البشر والكون وتعود لا قدم النصوص التي تفسر أصل القمر والشمس والنجوم، وأهمية الماء كواهب للحياة، وكانت الاساطير بخصوص نشأة الكون والانسان تبدأ عادة بكلمات (أو–ري– أ) وتحكي هذه الاساطير قصة فصل الارض عن السماء وكيف سيطر احد الالهة على الارض والاخر على السماء.

وهكذا كانت الاسطورة بداية لتفسير المظاهر الكونية، كانت بداية لتخلص الانسان من عجزه عن ادراك الكون الذي يحيط به بكل مظاهر القوة والغرابة، كانت الاسطورة في بدايتها نوعا من الخيال والابداع،وكان ما يوحي بها الى الانسان في بلاد وادي الرافدين حنينه الى سبر غور المجهول تارة، وتارة اخرى خوفه من هذا المجهول وحيرته أمام الغيبيات التي يشعر بها ولا يجد لها تفسيرا، وبحثه العظيم عن الخالق لكل ما حوله، عن خالق عجزت المفاهيم والافكار عن ادراك كنهه،فسبحان من خلق البصر والبصر لا يدركه وأنعم بالبصيرة والبصيرة لا تنكره.[٢]

ثالثا: اهداف البحث:

يهدف البحث الحالي الى:

مناقشة ظهور الاساطير في حضارة وادي الرافدين.

تعرف دور هذه الاساطير في صنع الحضارة والنهوض بها.

تعرف علاقة الاسطورة بالمصطلحات الاخرى.

تعرف على دراسات سابقة تناولت الاساطير.

المبحث الاول: تحديد مفاهيم البحث

---

(١) أنظر: عبد الوهاب حميد رشيد. حضارة وادي الرافدين "العقيدة الدينية. الحياة الاجتماعية. الأفكار الفلسفية".٢٠٠٤.ص١.

(٢) أنظر: انترنت،٢٠١٢.

مفهوم الاسطورة:

الاسطورة أو علم (الميثولوجيا) وهي كلمة يونانية أو اغريقية الاصل وتعني مجموعة من الافكار و الفلكلور الخاص بالثقافات التي يعتقد بانها صحيحة وخارقة وهي تستخدم لتفسير الاحداث الطبيعة الانسانية.

قاموس علم الاجتماع:

ان الاسطورة هي تفسير او قصة رمزية تروي حادثة غريبة او خارقة طبيعية توجد في ثقافة فرعية وتتميز الاسطورة بتناقلها وانتشارها على نطاق واسع وتأثيرها العميق نتيجة ما تنطوي عليه من حكمة وفلسفة واثارة والهام.[١]

الأسطورة (بالإنجليزية: Myth) عبارة عن حكاية ذات أحداث عجيبة خارقة للعادة أو عن وقائع تاريخية قامت الذاكرة الجماعية بتغييرها وتحويلها وتزيينها.

وفي تعريف الأسطورة يقول كل من لابيير (La Pier) وفارنزورث Farnsworth "الأسطورة عبارة عن شائعة أصبحت جزءاً من تراث الشعب الشفهي، ومن الناحية اللغوية كثيراً ما نستخدم كلمة شائعة مكان أسطورة والعكس صحيح.[٢]

والاسطورة في نظر (كاسبرر) تقوم في الجوهر على اساس من رغبة حماسية تدفع الافراد الى الشعور بوجود هوية بينهم وبين المجتمع والطبيعة، ويتحقق اشباع هذه الرغبة بوساطة الطقوس الدينية، فهناك تذوب الفوارق بين الافراد ويتحولون الى كل لا يعرف التمايز.

كما انه يشير الى التأكيد بأن الاسطورة اذا لم تتحدد بدلالة الفكر وحده، فأنها لا تتحدد كذلك بدلالة الفعل وحدة، ولكن بالمقابل فأنها تتحدد بدلالة الاثنين معا. فالأسطورة لم تنبعث من عمليات عقلية فقط ولكنها تنبعث من انفعالات انسانية عميقة (طقوس).

لقد كان (هنشلن) هذا الجوهر الذي تبدو فيه الاسطورة عندما قال: اذا كانت الاسطورة تمثلا "منتظما فكريا فان هذا الاخير كان قد نشا عن النشاط الفعلي الذي كان يقوم به الانسان الاجتماعي ازاء الطبيعة. ان الذي يخلق الاسطورة هو المجتمع البدائي، وذلك بسبب عدم بلوغه

---

(١) أنظر: غيث محمد عاطف قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية.(د.ت.ط). ص٢٩٦.

(٢) Encyclopedia Britannica, 1961 Volume 20, Oral Tradition, p. 869.

مرحلة الاتقان، هذا بالإضافة الى المستوى الواطئ للقوى المنتجة التي تحكمت في وجوده العلاقات الضيقة التي كانت تربط ما بين الافراد".[١]

حضارة وادي الرافدين:

عرف الجغرافي سترابون (Strabon) منطقة وادي الرافدين بقوله ان البلاد التي تحاذي بلاد فارس هي اقليم اشور، ويفهم من هذا الاسم أي اشور بلاد بابل وجزء كبير من المنطقة التي تضم كل اقليم اشور ومركزه نينوى والضفة الاخرى لنهر الفرات وهي القسم الواسع الذي ينقسم بين العرب والسوريين الى غاية الحدود مع سيليسيا وفنيقيا وارض اليهود (Strabon,1980:)

وتتمثل مراحل حضارة وادي الرافدين بـ:

السومريون:

تعتبر الحضارة السومرية في وادي الرافدين من ارقى الحضارات الانسانية المبكرة التي خلفت تراثا حضاريا عريقا، ويعد السومريون من اقدم الشعوب التي استطاعت وضع لبنات الحضارة في القسم الجنوبي من وادي الرافدين، والذي عرف باسم بلاد سومر، حيث اطلق عليهم هذا الاسم نسبة الى المنطقة التي استقروا فيها بالجنوب والتي تشمل الاراضي الفاصلة بين نهري دجلة والفرات وتمتد على مسافة 350 كم ما بين مدينة اور "واريدو " رب شط العرب.

وقد حاول المؤرخ سامي سعيد الاحمد احد المختصين في دراسة السومريون ترتكز على ثلاثة معايير هي الدراسة ترتكز على ثلاثة معايير هي الدراسة المورفولوجية، الدراسة الانتولوجية، الدراسة اللغوية وذلك بعد ما اكتشف ان الكتابات السومرية لا تذكر شيئا عن موطنهم الاصلي واستطاع التوصل ان اصلهم جبلي، وان لغتهم التي لازالت الى وقتنا الحاضر عبارة عن طلسم، فهي لا تمت باي صلة الى عائلة لغوية معروفة سواء كانت قديمة او حديثة بل هي عبارة عن مجموعة من الرموز الملصقة التي يعبر كل منها عن كلمة.[٢]

وهو نفس الرأي الذي ذهب اليه هوغو فيستر (Hugo Fisther,1964) على ان الكتابة السومرية وحيدة في نوعها ولا يمكن في الوقت الحاضر الحاقها باية لغة او مجوعة لغوية.[٣]

---

(١) أنظر: عبد الرضا الطعان. الفكر السياسي في العراق القديم، العراق: دار الرشيد للنشر والتوزيع. ١٩٨١.ص ٥٨ –٥٩.

(٢) أنظر: سعيد الاحمد سامي. السومريون وتراثهم الحضاري، بغداد: مطبعة الجامعة. ١٩٧٥.ص ٤١–٤٩.

(٣) Fisther Hugo .(1964).Laupede la Civilization Egypt et Me Sopot amie , payot Paris.

الاكديون:

ظهر الاكديون كاول قوم سامي منذ الاف الثالث ق.م في بلاد الرافدين حول مدينة ماري، واستطاعوا ان يؤسسوا اول امبراطورية في تاريخ العرب والعالم، تجاوزت سمعتها حدود منطقة الشرق الادنى وشملت جزءا لابأس به من المناطق التي كانت خاضعة لنفوذ الحضارة السومرية[١].

وتقترن شهرة اكد باسم الملك سرجون "شاروكين " مؤسس مدينة اغاد (Agade) التي اصبح اسمها المحرف الى أكد (Akkad) يطلق على كل السهل الشمالي الضيق من بلاد بابل[٢] وأهم الاعمال التي قام بها انه تمكن من قهر لوجال زاجيزي (Lugal Zagzi) ملك اوروك واور السومرية، وتذكر الاساطير السبب وراء هذه الحرب كان رفض هذا الاخير مصاهرة سرجون الاكدي[٣] ويقال انه تذرع بالمعاملة السيئة التي لقيها احد رسله رسله في قصر لوجال زاجيزي كما فتح بلاد بابل واقام فيها مملكة تدين له بالطاعة واستطاعت عزيمة السلالة الحاكمة التي خلفت سرجون ان تحافظ على الازدهار الكامل للإمبراطورية، حيث قاد "نرام سن " حفيد سرجون بلاد الشرق الادنى لمدة اربعين سنة ازدهرت الحضارة والسياسة في وقته ولقب نفسه بملك جهات العالم الاربع.[٤]

وقد حلت اللغة الاكدية محل اللغة السومرية، التي كانت سائدة، وبهذه اللغة كتبت نصوص مختلفة منها سياسية ودينية وادبية[٥] لكن هذا الدور القيادي انهار تحت وطأة غزوات الكوتيين.

البابليون:

عند وصول العناصر الآرامية الى المنطقة استقرت على طول الفرات ووصلت الى سدة الحكم بما فيها بابل والتي عرفوا باسمها وقد تم ترجمة اسم بابل بمعنى باب أيل أي باب الالة.[٦]

وكان مؤسس الحضارة البابلية الاولى حمورابي صاحب اهم قانون انساني، لقد أنشا الملك حمورابي امبراطورية واسعة تمتد من صحراء سوريا حتى جبال زاغروس جنوبا، ومن الخليج العربي

---

[١] أنظر: عبد الله مرعي فيصل. المدخل الى تاريخ الحضارة، دمشق: منشورات جامعة بغداد. ٢٠٠٠. ص٤٨.

[٢] حاطوم نور الدين واخرون. موجز تاريخ الحضارة، مصر: مطبعة الكمال. ١٩٦٥. ص ١٥٤.

[٣] أنظر: (عبد الله مرعي فيصل، مرجع سابق ٤٨.

[٤] أنظر: مورتكات،.١٩٦، ص ٩١.

[٥] أنظر: جباغ قابلو. تاريخ الحضارة العربية القديمة، دمشق: منشورات جامعة دمشق. ١٩٩٩.ص٧١.

[٦] أنظر: عبد العزيز صالح. الشرق الادنى القديم، الكتاب الثاني،ط٢، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.١٩٧٣. ص٤٥٦.

حتى اعالي نهر الفرات،وكان لهذه الامبراطورية نفوذ تجاري وسياسي واسع في منطقة الشرق الادنى كلها، اكتشفت مسلة حمورابي في منطقة شوش عاصمة عيلام سنة (١٩٠١) على يد فرقة بحث فرنسية وكانت باللغة الاكدية لغة بابل وترجمت الى الفرنسية وقد توالت دراستها في معظم اللغات الاوروبية الحديثة، وقد وجدت هذه النقوش على حجر اسود يبلغ ارتفاعه مترين (أي المدونة) ونقلت الى متحف اللوفر في باريس.

ترجع اهمية قانون حمورابي الى كونه أهم مرجع للقانون الذي ساد بلاد وادي الرافدين، كما انه اثر في اغلب المدونات اللاحقة التي ظهرت في بلاد الشرق كلها[١] وكانت نهاية الدولة البابلية حوالي (١٥٣٠) ق.م. على يد الحيثين القادمين من اسيا ورغم قصر السيطرة الحيثية الا انها كانت بداية لسيطرة اجنبية اخرى، ولما انسحب الحيثين، دانت بابل لسيطرة اجنبية اخرى هي السيطرة الكاشية.

الاشوريون:

تمثل فترة الاشوريون مرحلة هامة من فترات التاريخ السياسي لوادي الرافدين وهي من الاقوام السامية التي جاءت من الجزيرة العربية في مطلع الالف الثالث ق.م.

وقد عرف الاشوريون نسبة الى عاصمتهم اشور والتي اخذت اسمها من اسم الهتها المحلي وهو اله الاشوريون القومي وكبير الهتهم وذكر موطن الاشوريون في المصادر المسمارية بهيئة بلاد اشور وتقع مدينة اشور على الشاطئ الايمن لنهر دجلة (قلعة الشرقاط)[٢] وقام الملك اشور ناصر بال الثاني (٨٨٣-٨٥٩ ق.م) بنقل عاصمته شمالا الى مدينة كله (المدعوة نمرود حاليا).

وتعاقب عدة ملوك على بناء هذه المدينة وقصورها ومعابدها، واكتشف علماء الاثار العراقيون في التسعينيات من القرن الماضي ثلاثة قبور غنية جدا تحت أرضية الغرف في حرم اشور ناصربال، وعثر في احد القبور على هذا التاج الذهبي الرائع الذي تعلوه ورقة ثلاثية لفاكهة العنب، تتأرجح منها عناقيد من الفاكهة نفسها، ويعد هذا التاج دليلا على البراعة الصناعية وعلى الكنوز الضائعة لهذه الامبراطورية، اذ ان الامبراطورية الاشورية حينما سقطت ٦١٢ ق.م، دمرت مدنها الكبيرة كليا.[٣]

---

(١) أنظر: هاشم عبود الموسوي. موسوعة الحضارات القديمة، ط١، عمان: موسوعة الحضارات القديمة. ٢٠١٣. ص١٠٤.

(٢) أنظر: حاطوم نور الدين واخرون، مرجع سابق ص٢١٢ -٢١٣.

(٣) أنظر: هاشم عبود الموسوي، مرجع سابق، ص١٠٥.

الكلدانيون:

يرجع علماء الاثار اصل الكلدانيين الى شواطئ الخليج العربي جنوب وادي الرافدين، اذ اسست منذ القرن الثالث عشر ق.م. وتمكن ملوك هذه السلالة من بسط نفوذهم على سواحل الخليج العربي واكثر المدن السومرية والاكدية جنوب وادي الرافدين ويعتبر نبوخذ نصر اعظم الملوك الكلدانيين ودام حكمه ثلاثة واربعون سنة (٥٦٢- ٦٠٥ ق.م.) واهم منجزاته حملاته التي قام بها على مملكة يهوذا والقضاء عليها، اذ انه احتل اورشليم فخربها واحرقها وسبى حوالي خمسة الاف شخص.[١]

مما سبق نلاحظ ان بلاد الرافدين كانت مهد للحضارات القديمة واستطاع الانسان الاول ان يحيا حياة قامت على اسس حضارية متقدمة منذ اول عصور فجر التاريخ.

المبحث الثاني: الاساطير التي ظهرت في حضارة وادي الرافدين

ان اشهر الاساطير التي ظهرت في حضارة وادي الرافدين كانت الاساطير الدينية، فالمعتقدات الدينية ترسم الخطوط العريضة لا فكار وممارسات وسلوكية الانسان وقيمه وعاداته واعرافه وتقاليده بل وحتى مزاجه، ومن هنا احتلت دراسة الدين موقعا بارزا في فهم حضارات الشعوب القديمة وتكاد تكون اولى الحضارات البشرية هي الحضارة السومرية التي ظهرت في العام (٣٠٠٠)ق.م.

وظهرت في هذه الحضارة اساطير وملاحم دينية حملت بين طياتها اسماء للإلهة والارواح الخيرة والشريرة و ونصوص الفأل وقراءة الطالع والنصوص السحرية وطقوس اقامة الشعائر الدينية والاحتفالات الدينية والرقي والتعاويذ وقد ظهر كل هذا من خلال الالواح الجدارية المنقوشة على الاختام الاسطوانية والاواني الفخارية،كما وجدت رسوم تدل على القانون والادب والطب والفلك.

ومن هنا يصعب فهم نشوء ونمو وموت حضارة وادي الرافدين قبل فهم عقيدتها الدينية التي تتصف بالعمق والشمولية لان هذه الحضارات نشأت وماتت في احضان الدين الذي شكل وعاء حضارة وادي الرافدين ولعب فيها دورا لم يلعبه ابدا في حضارة اخرى، والدين ظاهرة قديم قدم الانسان نفسه والتصق بنفسه وعقله وفكره وممارساته منذ أقدم العصور وقدم خدمات جليلة للبشرية بتقويم سلوك الانسان في وقت لم تتواجد فيه بعد الدولة والشرطة والقوانين الضبطية.

---

[١] أنظر: أحمد سوسة. العرب واليهود في التاريخ حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الاثرية، ط٧، دمشق، العربي للطباعة،، (د، ت)، ص ٢١٨.

وتشير الدلائل الاثرية للقبور المكتشفة ان اشكالات المعتقدات الدينية عاشت مع الانسان منذ العصر الحجري القديم، وفي العصر الحجري الحديث عندما حلت الزراعة والتدجين محل جمع القوت والصيد وانصبت عناية الانسان على تغييرات فصول السنة واصبحت طقوس الزراعة والخصوبة محور الفكر الديني.

لقد تخيل سكان وادي الرافدين الارض في هيئة قرص محاط بحاشية من الجبال يطفو على محيط من المياه (العذبة) (ابسو) حيث تدور جوله الاجرام السماوية وهناك نصف اخر مشابه يضم العالم الاسفل تحت الارض تمكث فيه أرواح الموتى، أما كيفية خلق العالم ؟ومن هو الذي خلقه ؟ فقد تباينت الاراء والاجوبة حسب تباين المواريث الاسطورية وال مراحل التطورية الحضارية التي مرت بها تلك المعتقدات، أما سر خلود وقدرة الالهة فيكمن في تحملها مسؤولية ادارة الكون وحمايته من القوى الشريرة.

ومن الحقائق البديهية التي ادركها سكان وادي الرافدين هي حتمية الموت على الانسان واستحالة نيله الخلود، فالإلهة جعلت الموت من نصيب الانسان منذ بدء الخليقة بينما استأثرت هي بالحياة الخالدة (ملحمة كلكامش).

كان الموت واله الموت موجودا قبل مجيء الالهة الى الوجود وخلق الانسان، والموت هو ناموس الكون وبلغت حتميته درجة انه حتى الالهة الذين من ميزاتهم الخلود لم يسلم بعضهم من الموت عن طريق العنف(القتل) كما حدث لجيل الالهة القديمة (ملحمة الخليقة البابلية) لكن سكان وادي الرافدين لم ينظروا الى الموت على انه الفناء المطلق بل انفصال ما بين والجسد والروح التي تلازمه مدى الحياة وعند الموت (انقطاع اخر نفس للإنسان) وتخرج روحه لتذهب الى العالم السفلي –عالم الاموات –عالم اللا رجعة –بينما يعود جسمه الى التراب،وبذلك اعتقد سكان وادي الرفدين،وبان الانسان مركب من عنصرين أولهما حسي مادي منظور وهو الجسد وثانيهما غير منظور وهو الروح التي أطلق عليها السومريون (كدم) (gidm) وان الارواح في العالم السفلي الذي يلفه التراب والظلام لا تجد ما تعيش عليه سوى القرابين والنذور التي تقدم لها من الاحياء، وكان التركيز كبيرا على اهمية الالتزام بالطقوس الدينية عند موت الانسان ودفنه حتى تستقر روحه في العالم السفلي.

وقد ظهرت أولى المؤسسات الدينية في القسم الجنوبي لوادي الرافدين في حدود (٥٠٠٠)ق.م وهي المعابد، وكانوا كهنة المعابد أقدم حكام الارض وكان الكاهن الاعظم يجمع في شخصه السلطتين الدينية والزمنية.[١]

كما كانت اساطير السحر في بابل مرتبطة بشعائر مضادة للشياطين من الارواح الشريرة والعفاريت ولم يكن السحر الابيض معترفا به حسب بل كان اداة لمخاطبة الالهة،وكان الهدف من هذا السحر خيريا يعمل على ابعاد الارواح الشريرة من المعبد أو طرد هذه الرواح من جسد الانسان عند اصابته بمرض ما بسبب تعرضه للسحر الاسود الذي يمارسه فريق من السحرة بصورة غير مشروعة (سرا) حيث كان القانون يعاقب عليه وكان الالهان (مردوخ) و(انكي) يمثلان القوى الخيرة المتفوقة بالاضافة الى خدمهما من الجن الصالح ويمثلان راعيا السحر الابيض الذي اكتسب طبيعته الجوهرية من تطبيق طقوس معينة من قبل قارئ التعاويذ الذي يستمد قوته وسلطته من كونه وسيطا للسحر.[٢]

ومن الاساطير التي كانت شائعة جدا في حضارة وادي الرافدين هي (العراف) الذي كان يعتقد بان له القدرة على التبوء بأحداث المستقبل، وكان يحتل مكانة مهمة في القصر الملكي ويكلفه الملك باستمرار بعرفة أحداث المستقبل،خاصة عند اقدامه على عمل أو مناسبة وكانت قراءة الطالع تحظى بمكانة عالية في حياة سكان وادي الرافدين، كما كان تفسير الاحلام شائعا جدا في حياة سكان وادي الرافدين، وكانوا يعتمدون عليه في تفسير كثير من الظواهر تتقدمها امور الخير والشر والنصر والهزيمة، وكانت الاحلام تعد بمثابة تحذيرات الهية للإنسان، وكان الانسان في وادي الرافدين يعتبر الحلم مساويا للحقيقة.

وكان التنجيم البابلي (وهو من اقدم طرق العرافة التي اشتهرت في وادي الرافدين) يستمد قاعدته من مراقبة حركة النجوم والافلاك والرياح والكواكب السيارة والخسوف والكسوف، وكان التنجيم معادلا في الحقيقة من قريب أو بعيد للتنبؤات الجوية الحديثة.[٣]

المبحث الثالث: علاقة الاسطورة بغيرها من المصطلحات

علاقة الاسطورة بالخرافة:

---

[١] أنظر: عامر سليمان، مرجع سابق، ص ٢٠٨.

[٢] أنظر: نائل حنون. عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين، بغداد ١٩٨٦.ص٢٧-٣٩.

[٣] أنظر: انترنت،٢٠١٢.

ارتبطت الاسطورة في اذهان الكثيرين بالخرافة واعتبر كلاهما شيئا واحدا، كما اشار الى ذلك ارسطو، لكن الاسطورة هي حكاية مقدسة يؤمن اهل الثقافة التي انتجتها بصدق روايتها ايمانا لا يتزعزع فيما يميزها عن غيرها هو الاعتقاد فيها، اما الخرافة، فهي حكاية مليئة بالمبالغة والخوارق وتجري احداثها بعيدا عن الواقع حيث تتحرك شخصياتها بسهولة بين المستوى الواقعي المتطور والمستوى الخيالي وتتشابك علائقها مع كائنات غيبية متنوعة مثل الجن والعفاريت ومن هنا فالحدود بين الاسطورة والخرافة غير واضحة، وقد تشبه بعض الخرافات الاساطير في الشكل والمضمون الى درجة تثير الحيرة.[١]

وقد كشفت (ميرسيا الياد) عن جوهر الاسطورة عندما رأت فيها واقعا ثقافيا، وانطلاقا من هذا المنظور حددت الاسطورة باعتبارها قصة مقدسة تشير الى حدث كان قد تم في الاصل في زمن سابق يتميز بانه زمن خرافي تحققت فيه البدايات الاولى.

وبعد ان تشير الى الفرق بين الاسطورة والخرافة توكد ميرسيا الباد ان الاسطورة لا تروي فقط قصة اصل العالم: الحيوانات، والنباتات، والانسان، وانما تروي كذلك (الاحداث الاولى) التي على اثرها اصبحت كل مكونات العالم هذه، وبشكل خاص الانسان.[٢]

علاقة الاسطورة بالحكاية الشعبية والبطولية:

الحكاية الشعبية لا تحمل طابع القداسة والاعتقاد ولا تتطرق كما هو شان الاسطورة الى الموضوعات الكبرى مثل الخلق ولا قضايا الانسان المصيرية مثل الحياة والموت، بل تقف عند حدود الحياة اليومية والامور الدنيوية، والعناصر القصصية التي تستخدمها الحكاية الشعبية معروفة لنا جميعا لذلك يسهل تمييزها عن الاسطورة ومن هذه العناصر مكر النساء، وقسوة زوجة الاب...

والحكاية الشعبية تتصف بالواقعية وتركز على تفاصيل دقيقة وهموم الحياة اليومية، على الرغم من وجود بعض العناصر الخيالية، التي قد تستخدم للتشويق، وقد تجد الحكاية بعض الاهداف فقد تجد رسالة تعليمية اخلاقية مثل فضل الصدق والتواضع ونبذ الكذب.[٣]

---

(١) أنظر: فراس السواح، الاسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية، دمشق: منشورات دار علاء الدين ط.١ ١٩٩٧. ص ٦١.

(٢) أنظر: عبد الرضا الطعان، مرجع سابق، ص ٥٥.

(٣) أنظر: عامر سليمان، مرجع سابقً, ص ٧٤.

أما الحكاية البطولية، فهي تتسم ببعض ما تتسم به الخرافة من إغراق في الخيال، وبعدها عن الواقع، إلا أن لها أصلًا في الحقيقة الموضوعية، ضخّم ومبالغ فيه، وعمل الخيال البشري الخلاق عمله، غير أنه خال من طابع الجد والقداسة، فهي قصص دنيوية وغير مقدسة، ومحددة تحديدًا زمانيًا ومكانيًا، وهو ما يبرر قيام الباحث، بالعملية العكسية، أي الصعود من الأدب إلى الأسطورة.

وأن البطل فيها، ولما يملك من القوة الخارقة ولما يقوم به من تصرفات فروسية، يشكل صورة مثالية عن الإنسان، وعن ما هو إنساني، يستثير الرغبة في السامع إلى تحقيق هذه الصورة المثالية.[١]

علاقة الاسطورة بالفلكلو:

الفلكلور: هو مجموعة الفنون القديمة والقصص والحكايات والاساطير المحصورة بمجموعة سكانية معينة في أي بلد من البلاد. ويتم نقل المعرفة المتعلقة بالفلكلور من جيل الى جيل عن طريق الرواية الشفهية غالبا.

اصل كلمة فلكلور جاء من اللغة الالمانية (Volkskunde) ومعناها بالعربية (علم الشعوب) وكلمة فلكلور يقابلها باللغة العربية (التراث) وهو ارثنا عن اسلافنا من الثقافة.

وقد استخدمه علماء الانثروبولوجيا للإشارة الى التراث غير المكتوب الذي تعبر عنه القصص الشعبية والاغاني والامثال الشعبية، كما استخدم المصطلح ليشير الى العلم الذي يدرس المواد بالطرق التي تعالج بها المواد الاثنوغرافية.[٢]

بدأت عملية تعريف الفلكلور وتوثيقه في القرنين التاسع عشر والعشرين، بعد ان ظهرت مجموعة من التخصصات والابحاث الانسانية التي اهتمت بالفلكلور كعامل مهم في ثقافة الشعوب.

"فكلا من الاساطير والقصص الفلكلوري تبنى من مواد الحياة اليومية. فمن الواضح ان هذه الاشكال من النشاط الفني ذات قيمة عظمى في القاء الضوء على الميول الثقافية السائدة في شعب من الشعوب، وبتفسير القصص الفلكلورية والاساطير كثيرا ما يمكن الخبير من وصف الثقافة

---

(١) أنظر: Encyclopedia Britanica, op. cit., 869.

(٢) أنظر: محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، (د.ت.ط)، ص.١٩٠.

وصفا على جانب من الدقة فيما يختص ببعض جوانبها على الاقل "[1] لذلك زاد الاهتمام بدراسة الفلكلور متضمنا الاساطير في الآونة الاخيرة من قبل الدارسين والباحثين.

المبحث الرابع: دراسات سابقة

تعددت المؤلفات في الاسطورة سنذكر منها:

فيروللو، شارل في كتابه اساطير بابل وكنعان (١٩٩٠) درس الاساطير البابلية ونشأتها والاساطير الكنعانية وتناول ايضا الاسطورة المصرية ومن الاساطير البابلية التي درسها: خلق العالم، الانسان الاول، اوانيس، ملوك ما قبل الطوفان، جلجامش، موت انكيدو كما تناول الكتاب الاسطير الكنعانية ومنها اسطورتا دانيال وقيريت واسطورة الملك دانل وغيرها من الاساطير كما تناول الكتاب الاسطورة المصرية ومنها اسطورة عشتارت واله البحر.

فراس السواح في كتابه الاسطورة والمعنى (١٩٩٧)، درس تعريف الاسطورة واشكالها وعلاقتها بالمعارف الاخرى كالتاريخ والاخلاق والعقائد.

احمد زكي في كتابه الاساطير.(١٩٩٧). درس تطور الاسطورة واهميتها في تطور الادب والفن، وعلاقتها بقيم الفرد والجماعة.

أ.أ. جيمس في كتابه الاساطير والطقوس في الشرق الادنى القديم (١٩٩٨) درس فيه الاسطورة ونشأتها، وعرض دور الاسطورة في توجيه السلوك اثناء القيام بالشعائر، وفرق بين انواع الاساطير.

التوصيات:

استخدم الانسان في صياغة الاسطورة لغة بسيطة سهلة التداول لتعبر بصدق عن واقع الانسان الاول وفكره.

ان الاساطير في البداية كانت لغة عبادة ضمنوها الحقائق الدينية التي تعلموها ولغة العبادة كما هو معروف في جميع الديانات قائمة على الرموز والخيال لغرض تحريك العواطف.

---

[1] أنظر: محمد الخطيب، الاثنولوجيا، دراسة عن المجتمعات البدائية، دمشق:منشورات دار علاء الدين ٢٠٠٠، ص ١٩٦.

يجب مراجعة تراث حضارتنا والحضارات العربية لانها تمثل مهد الحضارات، اذ ان التعرف على الاساطير له اهمية لمعرفة واقع الانسان الاول وافكاره واعتقاداته وكيف كان يفكر ومستوى معارفه.

يجب الاهتمام بدراسة الاساطير عموما واقامة الندوات العلمية وحث الباحثين الخوض في هذا الجانب المعرفي.

المصادر:

- أ.أ جيمس، الاساطير والطقوس في الشرق الادنى القديم، ترجمة يوسف شلب الشام، دار التوحيدي، ط١، ١٩٩٧.
- زكي احمد، الاساطير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧.
- سوسة احمد، العرب واليهود في التاريخ حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الاثرية،ط٧، دمشق: العربي للطباعة، د، ت.
- حاطوم نور الدين واخرون، موجز تاريخ الحضارة، مصر: مطبعة الكمال، ١٩٦٥.
- نائل حنون، عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين، بغداد، ١٩٨٦.
- عبد الوهاب حميد رشيد، حضارة وادي الرافدين "العقيدة الدينية.. الحياة الاجتماعية. الأفكار الفلسفية"، ٢٠٠٤.
- سعيد الاحمد سامي، السومريون وتراثهم الحضاري، بغداد، مطبعة الجامعة، ١٩٧٥.
- عامر سليمان، جوانب من حضارة العراق القديم، بغداد،١٩٨١.
- ليمان مظهر، أساطير من الشرق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧.
- عبد العزيز صالح، الشرق الادنى القديم، الكتاب الثاني، ط٢، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية.(١٩٧٣).
- عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي في العراق القديم، العراق، دار الرشيد للنشر والتوزيع.(١٩٨١).
- فراس السواح، الاسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية، دمشق: منشورات دار علاء الدين ط.١(١٩٩٧).

- شارل فيروللو، اساطير بابل وكنعان تعريب ماجد خير بكك، دمشق: مطبعة الكتاب العربي. (١٩٩٠).
- عبد الله مرعي فيصل. المدخل الى تاريخ الحضارة، دمشق: منشورات جامعة بغداد. (٢٠٠٠).
- جباغ قابلو. تاريخ الحضارة العربية القديمة، دمشق: منشورات جامعة دمشق. (١٩٩٩).
- محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، د.ت.ط.
- محمد الخطيب.الاثنولوجيا، دراسة عن المجتمعات البدائية، دمشق: منشورات دار علاء الدين ط١.2000 .
- هاشم عبود الموسوي. موسوعة الحضارات القديمة، ط١، عمان: موسوعة الحضارات القديمة. (٢٠١٣).

- Encyclopedia Britannica, 1961 Volume 20- p. 869, Oral Tradition.
- Fisther Hugo .(1964).Laupede la Civilization Egypt et Me Sopot amie, payot Paris.
- Roux ,George.(1995).La Mesopotamia, Saul Paris.
- Strabon,.(1980). Iageographie de Strabon , Livre XVI, Hachette Paris.
- www.albasrh.net.ar.articklis - Rashid.
- Https:ar.wikipeda.org-wwiki.